المشرق

السرّ المصون في شيعة الفرمسون

مقالة تاريخية ادبية عمرانية للاب لويس شيخو اليسوعي

استفتاء

كتب الينا احد اصحابنا من مصر ما نصّهُ:

بينما كنت ساترًا في شارع الفجالة مساء الاحد الواقع في ١ آب المنصرم من السنة الجارية اذ سمعت رجلًا في منتصف العمر من ورائي يدعوني باسمي وهو يُسرع في مشيهِ ليدركني فعانت مني التفاتةً فاذا هو شخصٌ اجتمعتُ بهِ في بعض النوادي لكنّني اجهل اسمهُ فنظرتهُ ريثما اقترب مني وحيّاني بالسلام ثم جعل يسألني: «الستَ فلان الفلاني». فقلتُ: «بلى هو». قال: «لعلّك تقصد يولاق». قلتُ: «نعم». قال: «اذن ارافقك». ثم اندفع في الكلام ودار بيننا الحديث الى ان وصلنا الى قرب بناء مرتفع على طرف بعض الاحياء. فقال: «أتعلم ما هذه الدار». قلتُ: «لا وحياتك» قال: «هذا نادي الفرمسون نجتمع فيهِ مرّةً في الاسبوع. أو لستَ من الماسون؟». قلتُ: «اني اجهل امر هذه الشيعة ولا غرو لانها مستترة وراء استار الاجتماعات السرّية لا يطّلع على حقيقتها الّا من دوّن اسمهُ في سجلّاتها». قال: «انا من المتقدّمين فيها فانبئك بشأنها. هي الفئة الشريفة التي اتّخذت لها من المبادئ اسماها ومن الغايات ارضاها. عمادها الفضيلة وغايتها الكمال هي مصدر التمدّن والعلم ونصيرة العدل بين الناس لا تتعرّض لهم في شيءٍ من دينهم ولا تتداخل في الامور السياسية (١)» قال

(١) راجع تاريخ الماسونية العام لجرجي افندي زيدان ص ١

هذا وزاد عليه اشياء كثيرة الى ان ختم كلامهُ بقوله: « افلستَ ترضى ان تنتظم في سلك هذه الجمعيَّة بعد وصفي لها كما رأيت ». قلتُ: « انَّ لي اصحاباً اتَّخذتهم لي في امور رشادًا وفي شبهاتي قرَّادًا فدعني اطلب مشورتهم حتى اذا وقفتُ على حقيقة الحال اجبت الى دعائك والقيتُ بزمام امري الى ايدي رُصفائك ». ثم اقرأتهُ السلام وانا افكِّر في صيغة مدَّعاه. وما قلتُ راجعاً الى داري حتى اسرعتُ الى رقم هذه الاسطر لاستفتيكم في شأن هذه القضيَّة واطلب من لطفكم ان تجيبوا على سؤالنا بلسان مشرقكم المنير

مصر في ١٧ آب

جواب المشرق

(قلنا) انَّ وصف الماسونيَّة الذي نقلهُ مكاتبنا عن لسان احد اعضاء هذه الشيعة فترة كثيرًا ما حاول الماسون ان يستتروا وراءها في بلادنا ظنًّا منهم انهم يصطادون بذلك القوم الاغرار. الا انَّ العاقل لا يقدم على امر قبل ان يدرك حقيقتهُ ويأمن عثرتهُ. قال الحاجّ محمَّد علي الشامي العاملي في رسالة وسمها بكشف الظنون عن حال الفرمسون واثبتها في كتابه سوق المادن سنة ١٢٩٠ هـ (١٨٨٣م): « انَّ دفع الضرر الاظنون واجب عند العقلاء. فاذا وجدتَ مثلًا في طريقك وادياً وأخبرك مخبر انَّ فيه سباعاً مؤذية وتلك مناداً عن ارتقاءك في سفح او سلوك طريق اخرى فانهُ يجب عليك العدول عن الوادي الى السفح او الطريق الاخرى... وهذا يصدق في حق الماسون ». فلا يكفي اذن ان نركن الى قول بعض اصحاب الغايات الذين تورَّطوا في ردغة هذه المصابات السرِّية فيموِّهون الكلام ويختلقون الكذب ليخدعوا السذَّج لاسيما وقد نبَّهنا الربّ على مثل هؤلاء بقوله: « انهم يأتونكم بثلابيب الحملان وهم في الداخل من الذئاب الخاطفة » بيد ان المسيح لذكرهِ المجد وضع لنا قاعدةً تعمُّ لمعرفة المارقين اذ قال: ومن « اثمارهم تعرفونهم »

ولكن قبل ان نستطعم تلك الثمار الجنيَّة لا بُدَّ من البحث في بعض الامور التي نقدِّمها على مقالتنا لتكون بمثابة التمهيد لكلامنا فنتتبَّع اصول تلك الشجرة والتربة التي نبتت فيها وامتداد جذورها وتفرُّع اغصانها. ونحن لا نستند في ايضاح كل ذلك

الّا الى اوثق المصادر وخصوصاً الى اقوال الماسونيين انفسهم اذ كان اهل البيت ادرى بما فيه. وان قال قائل: كيف تستطيع ان تعرف اسراراً يُقسم الماسون بالحرّجات انهم لا يكشفونها لاحد ويُعاقبون على كشفها اشدّ العقوبات. أجبنا مع السيّد المسيح ان ليس خفيٌّ الّا سيظهر ولاسيما ان تلك الاسرار لم تنحصر في بعض الافراد فيشترك فيها اشخاص غير الحريصين على حفظها فيصح المثل السائر: كل سر جاوز الاثنين شاع. والماسونيّة في ايامنا نشرات وتقارير وجرائد يطبعونها لذويهم فهما ازداد حرصهم على حصرها تبلغ بالرغم منهم الى ايدي الذين يهتكون حرمتها ويعلنون باسرارها. كفانا دليلاً على قولنا الجريدة التي تظهر في باريس منذ ثلاث سنوات واسمها خرق الحجاب عن الماسونيّة (La Franc-Maçonnerie démasquée) وهي تروي في كل عدد من اعدادها ما تستخرجهُ من دفاتر المحافل الماسونيّة ومن اوراقها الرسميّة ونشراتها الخاصّة فالى مثل هذه الاسانيد نلتجئ في كلامنا الآتي وعلى الله التكل

تاريخ الماسونيّة

ليس شيءٌ يصف الماسونيّة وصفاً اظرف ويميط القناع عن خزعبلاتها بنوع ألطف من نقل ما يسطرّهُ انصارها في تاريخ شيعتهم وتعريف اصولها. فلا بُدَّ لنا من تفكيه القرّاء بشيءٍ من هذه الاساطير التي تغلب على احاديث خرافة ويجدر بها ان تُلحق باقاصيص الزير وبني هلال وعنتر. وها نحن نستمدُّ ذلك من بعض تآليف الماسون في بلادنا. قال الاخ شاهين مكاريوس رئيس محفل اللطائف في كتابه «الآداب الماسونيّة» الذي نال جزاء عنهُ «النيشان الماسوني العالي من المجلس الاكبر المصري... وتقرّر ابحاث منشور لكافة المحافل الوطنيّة المصريّة بوجوب اقتنائه» (ص ١):

«الماسونيّة اكبر الجمعيّات واغناها واشهرها واقدمها ايضاً. وقد ذهب القوم في قدميّتها مذاهب شتى فبعضهم قال انها أُنشئت في هيكل سليمان وبعضهم ردّها الى كهنة المصريين وآخرون الى كهنة الهنود ويزعم غيرهم انَّ مؤسسها المسيح لا يزال مجهولاً ولا يبعد عن التصديق ان العالم لم يخلُ من جمعيّة سريّة منذ نشأته...»

الى ان قال (ص ٣):

«والماسونيّة التي نحن في صددها مضى عليها في عالمنا هذا اجيال عديدة قطعت في غضونها مفاوز

الحياة وقلّواتها وجبالها وسهولها وانهارها وبحورها حتى صارت الى ما هي عليه الآن ...»

وبعد ذكر بعض الجمعيّات السرّيّة العمليّة والرمزيّة اردف بما نصُّهُ (ص ١)

« ويغلب على الظن انّ منشأ هذه الجمعيّة كان في رومية سنة ١٧٥ قبل المسيح »

وكرّر هذا القول ثانية (ص ٥):

« ولكنّنا نعلم انّ الطريقة الحاليّة نشأت في رومية كما تقدّم »

فلنسمعنّ الآن اقوال اخر آخر يعدُّهُ الماسون من مشاهير رجالهم وهو الاخ جرجي زيدان وقد افادنا في « تاريخ الماسونيّة العام » انّ كتابهُ مبنيّ على اساس الحق وقد راجع لمعرفة الصواب شيوخ الماسونيّة (ص ج) «كالاخ المحترم نقولا حجي رئيس محفل لبنان سابقاً والاخ المحترم وليم اسعد خيّاط رئيس محفل فلسطين ... والاخ الكلي الاحترام سوليتوري افتوري زولا رئيس اعظم المحافل المصريّة سابقاً» وراجع غير ذلك من التواريخ التي عدّدها لاخوته الماسون فما احرى به ان يكون مؤرخاً صادقاً. فاسمع رعاك الله ما قال في تاريخ الماسونيّة وقد اختصر اقوال رصفائه قبل ابدائه عن رأيه الخاصّ قال (ص ٥):

« لمؤرخين في منشأ هذه الجمعيّة اقوال متضاربة. فمن قائل بحداثتها فهي على قوله لم تدرك ما وراء القرن الثامن عشر بعد الميلاد ومنهم من سار بها الى ما وراء ذلك فقال انّها نشأت من جمعيّة الصليب الورديّ التي تأسّست سنة ١٦١٦ ب م. ومنهم من ارجعها الى الحروب الصليبيّة وآخرون تتبّعوها الى ايام اليونان في الجيل الثامن قبل الميلاد ومنهم من قال انّها نشأت في هيكل سليمان وفئة تقول انّ منشأ هذه الجمعيّة اقدم من ذلك كثيراً فارجعوها الى الكهنة المصرية والهندية وغيرهما. وبالغ آخرون في انّ مؤسسها آدم والابلغ من ذلك قول بعضهم انّ الله سبحانهُ وتعالى أسّسها في جنة عدن وانّ الجنة كانت اوّل محفل ماسوني ورئيس الملائكة (اقرأ: سطنائيل) كان اوّل استاذ اعظم فيه

على انّ جناب منشئ الهلال يعدُّ هذه الاقوال وهميّة ويعلّل الامر « بطموس التاريخ الماسوني قبل القرون المتأخرة .. واخفاء اوراقها » لكنّهُ ينعش رجاءنا بقوله انّ الاخوة الماسون (ص ٦) «نهضوا مؤخّراً الى جمع تاريخ هذه الجمعية فعثروا على اوراق قديمة العهد امكنهم الاستدلال منها» على اخبارها. لا بل يفيدنا على أنّهُ اطّلع على ما يطّلع غيرهُ عليه ثم خاض في تفاصيل ذلك التاريخ خوض رجل يتقاذفهُ تيّار البحر العجّاج فلا يدري كيف يتخلّص من عبابه وينجو من غمراته. فلو راجعت كلامهُ وتمنّت

في رواياته تراكمت على عقلك الظلمات فلا تعلم أأنت في عالم الاحياء او في عالم الترهات فينتقل بك الكاتب في صفحات قليلة من خرافات الرومان الى اسرار ديانات اليونان فعابد المصريين فتواريخ اليهود فاخبار النصارى الاوّلين وهو يخلط في كل ذلك شيئاً طفيفاً من التاريخ لئلّا يحس القرّاء بسحره لعقولهم حتى اذا بلغ القرن السابع للمسيح اتى بالعجائب والغرائب فيتكلّم عن جماعة البنائين ويجعل المنتظمين فيها ماسونًا احرارًا تحت رئاسة الاكليرس وهم على زعمه اجداد الماسونية الحالية كانوا يأتون من الاعمال الهندسية والصناعية ما يستحقّ لهم شكر الشعوب المخلّد بل يحبّب للقرّاء تلك القرون الوسطى التي يسبّها الماسون الحاليّون ويدعونها قرون الهمجيّة واعصار الظلمات. وقس على هذه الخلاصة بقيّة ذلك التاريخ الذي نتفّ منشئ البشير عند صدوره بكتاب وهميّ شبيه بقصص الف ليلة وليلة

وقد قدّم الاخ الماسوني ايليا الحاجّ على كتابه « الخلاصة الماسونيّة » نبذة تاريخية في اصل الماسون تليق بالنبذتين السابقتين قال (ص ٣):

« قال بعضهم: ان مبدأ الماسونية منذ القدم يوم كوّن المهندس الاعظم السموات والارض وخلق ادم وهو ابو الماسون واعيًا في صدره العلوم والفنون بارعًا في علم الهندسة . . . . وانتقلت هذه الصناعة الى مصر بواسطة سمرايم احد احفاد حام وكان ذلك بعد تبلبل الألسنة عند بناء برج بابل بستّ سنوات . . . وقال احد الكتّاب: انّ الماسون قوم من البيثاكوراسيين (كذا) تألفوا جمعيّة وصلت الى ما هي عليه الآن من نضضة وعلوّ الشأن. وقال آخر انّ الماسون جماعة من اليسوعيين الانكليز (كذا) في بريطانيا »

ولعلّ الكاتب في طبعة ثانية يذكر انتظام شخصنا الحقير في الماسونيّة اذ كنّا في انكلترّة نتردّد الى ادبرة الاباء اليسوعيين الانكليز. ومن عجيب قوله بعد هذا ان اليسوعيين يضطهدون الماسون منذ ظهورهم قال (ص ٥):

« وكان اليسوعيّون بعد ظهورهم الى عالم الوجود يميلون الى ابناء الحرّية لمهارتهم في الصنائع بنية بناء كنائسهم ومعابدهم وصوامعهم غاية في الابداع وجلّ مقصدهم ان يلاشوا الماسون عن وجه الارض كما كان يفعل الملك فرعون بيني اسرائيل ايام كانوا يعملون بالآجر » !!!

ثم جرى في هذا الميدان القسيح تارةً يجعل الماسون من بُناة هيكل سليمان وتارةً يجعلهم من نخبة صنّعة مصر والعجم والهند واليونان الى ان يبلغ الى قوله (ص ١٠):

« ويقول الماسون في انكلترّة ان القديس البان انشأ الماسونية في بريطانية العظمى عام ٩٣٦

واخذوا براءة من الملك تسوّغ لهم اجراء اعمالهم واجتماعاتهم السرّية في مدينة يورك حيث أنشئ المحفل الاعظم لانكلترّة »

وان سألت الكاتب البارع من هو هـذا القديس البان منشئ الماسونية في عام ٩٢٦ اجابك في الحاشية :

« البان احد الثلاثة الذين ماتوا شهداء بانكلترّة عام ٣٨٦ ايام اضطهاد دقلديانوس » (كذا)

ويتنج من ثمّ انّ القديس البان نزل من السماء بعد استشهاده بنحو ٦٤٠ سنة لينشئ الماسونية في وطنه

فحسبك ايها القارئ بالاسطر السابقة دليلًا على صدق الماسون في تسطير تاريخهم . فليت شعري ايجوز لنا بعد ذلك ان نسلّم بما يخرق فيه الماسون اذ ينسبون الى جمعيتهم كلّ فضيلة وكمال دون إعمال الروية فيه . لا لعمري فانّ الرجل اذا عُرف بالكذب مرّةً لا يُقبل قولهُ الّا بعد البيّنات الواضحة والادلّة النيّرة

*

فان كانت الشيعة الماسونية كاذبةً في تعريف اصلهـا وكانت اقوالها متضاربةً في بيان تاريخها تُرى ما هو تاريخها الصحيح وهل يُعرف منشئها ؟

ان الجواب على هذا السؤال يستدعي بعض الملحوظات قبل ان نكشف القناع عن محيّا الحقيقة فنقول :

اوّلًا لا يُنكر انهُ شاعت بين الوثنيين في القرون السابقة لعهـد المسيح عدّة جمعيّات سرّية كانت تحجب اسرارها الفاسدة تحت ستر الظلمـة فتدّعي ظاهرًا ترقية العلوم او التقرّب من الآلهة وهي في الواقع موارد خلاعة وتهتّك . وكان اسوأها فعـلًا الجمعيّات المستّرة وراء حجاب الدين كاسرار أفوسيس (Eleusis) واسرار كيبالة (Cybèle) واسرار ادونيس (تموز) والعلماء الذين دقّقوا البحث فيها تحقّقوا ما فشا في مشاميها من سوء الآداب . فان كان الماسون يحبّون الانتماء الى هذه الجمعيّات فلا بأس وهم اعلم بما يجري في بعض اجتماعاتهم من العادات الرمزيّة الخلاعية التي بلغت اليهم بحق الوراثة

ثانيًا انهُ لاقرب من العقل والتصديق ان يقال انّ الماسونيّة هي حفيدة لجمعيات أخر وشيع سرّية ظهرت في اوائل النصرانية فقامت لمناصبة الدين المسيحي وتعرّضت لاربابه

وبثت في حقه الاكاذيب والتهم الّا انّ سهمها طاش عن غرضه. وكان اصحاب هذه الشيع يُعرَفون باسم الادريين(Gnostiques) ويتظاهرون بخدمة العلوم وما كانت علومهم سوى اوهام استعاروها من التنجيم والتيرنجيات وفنون السحر وغايتها في الغالب تعظيم القوى الطبيعية ورفع البشريّة الى درجة اللاهوت على مقتضى مبدأ الحلولية او الانتشار (panthéisme). وقامت في القرن الثالث للميلاد الشيعة المانويّة فأخذت من اقوال الادريين وزادت عليها مبدأ الثانويّة فجعلت إلهًا للخير وإلهًا للشرّ يتنازعان بينهما السيطرة في العالم. ولا شك انّ في المذهب المانوي بقايا من تلك الشيع كما اقرّ بالامر احد زعماء الماسونية الكبار في المانية ومنشئ بعض فرقها المعروفة بعُصَب المتنوّرين زيد الدكتور وَيسهوبت(Weishaupt) فانه في كتابه المدون بدستور التنوير في الجزء السادس منهُ يقول للفارس الماسوني ما تعريبهُ (١ « لا يعرف اسرار الماسونية غير المتنوّرين لا بل لا يقفون عليها كلها الّا بعد البحث والاجتهاد فالفارس المتنوّر يقتضيه السعي في ذلك. وليعلم أنهُ ان اراد الاطّلاع على اسرار الماسونية الصادقة انما يفوز بمرغوبه على الاخصّ بدرس كتب الادريين والمانويين ». وقد اقرّ مثلهُ بذلك كثيرون من الكتبة الماسونيين كالاخ راغون (Ragon) في كتابه الموسوم بالدرجات الماسونية (في الصفحة ١٣٠ والصفحة ١٤٩) ومثلهُ الاخ كلافل(Clavel) في تاريخ الماسونية والاخ ريداريس (Rédarès) في ابحاثه التاريخية عن الماسونية (٢٢-٢٣ وص ٢٥٤) ولهم كلام طويل نقلهُ ن. ديشان في كتابه عن الماسونية في الطبعة الثانية (٢ وهو أصرح من ان يحتاج الى ايضاح. ويؤيد اقوالهم عدّة رموز يتخذها الماسون في جمعياتهم والفاظ مستعارة من الادريين والمانويين يردّدها اكثرهم على شبه البغاء. ولا يعرف معناها الّا المتوغلون منهم في درجاتها العليا وقليلٌ ما هم. فمن آثار تعاليم تلك الشيع في الماسونية تشدّقهم بمعرفة النور وتنويه حول الداخلين في جماعاتهم وافتخارهم بنفي الظلمة ويشيرون الى ذينك المبدأين اي النور والظلمة بعمودين يقيمونهما في وسط ناديهم السريّ يدعونهما « بوعز وياكين ». ومنها الاسم الذي ينتحلهُ الماسون فيدعون انفسهم « ابناء الارملة » يريدون مانيّ ابن ارملة المدائن. ومنها تمثيلهم موت مانيّ الذي سلخ جلدهُ ملك الفرس

(١ اطلب تاريخ بابيانو (ج ٢ ص ٤٣٠)

(٢ N. Deschamps: *Les Sociétés secrètes et la Société*, 2 éd. I, 284–295

فيصرخون « ماك بناك » اي جُرِّد اللحم عن العظام . فيبدون امارات الحزن على موتهِ وغير ذلك مما لا يوقف هُ على معنى دون مراجعة كتب المانويين والادريين

وكان لتلك الشيع اعمال سيئة توافق تعاليمهم الباطلة وصفها آباء الكنيسة كالقديس اوغسطينوس في كتابهِ عن المانويين والقديس ابيفانيوس في كتاب المرطقات . والذين وقفوا على اسرار الماسونيين وتروّوا في اشاراتهم والعادات المألوفة بينهم في بعض معاهدهم السرّية يجدونها شبيهة في عدّة اشياء بما كان جارياً في حفلات تلك الطوائف المستورة ومؤدّاها في آخر الامر الى خلع العذار ونبذ كل شريعة الهيّة ومدنية والاستسلام لكل اهواء القلب والفواحش المنكرة

ثالثاً وقد ظهر في عهد اقرب من زماننا شيع أُخرى بينها وبين الماسونية علائق اوثق واشدّ نزيد شيع الكثاريين والاليبجيين تألفوا من بقايا المانويين في جهات البلغار والبشناق وتقدّموا زرافات ووحدات الى انحاء ايطالية ومنها الى جنوبي فرنسة فانتشروا هناك انتشار الوباء المبيد في القرن الثاني عشر ولم يزالوا يعيثون في تلك البلاد حتى جعلوها قاعاً صفصفاً وقام الملوك وجنّدوا الجنود لمحاربتهم . وكانت تعاليم تلك الشيع سرّية تندى لها الوجوه حياء فيطلقون العنان لكل الشهوات الوحشية حتى اصبح اسمهم مرادفاً لشرّير وفاسق . اما النسبة بين تلك الشيع والماسونية فقد اثبتها احد الكتبة البروتستانت المؤرخ الشهير هورتر في كتاب تاريخ انوسنت الثالث (ص ٢٨٤ و ٢٨٦) قال سنة ١٨٤٠ ما تعريبهُ :

« ان من يعتبر نظام الشيعة الماسونية الباطني وما تكبدهُ من المكايد منذ نحو ستين سنة لمحاربة الكنيسة الكاثوليكية ثم يقابل بين مبادئها ومبادئ شيع الكاثريين المعروفة لا يسعهُ الا الاقرار بالتوافق الموجود بينهما ليس فقط من حيث المبادئ العمومية ولكن ايضاً في دقائق الامور . فانّ الشيعتين كلتيهما تجاهران بحرّية الانسان التامة واستقلاله من كل سلطة عليا . كلتاهما تبغض البغض التامّ كلّ نظام للهيئة الاجتماعية ولشرائع الدين وعلى الاخص لقوانين الكنيسة . كلتاهما تحرص على سرّها فلا تكشفهُ الّا للذين اختبرتهم زمناً طويلاً واذا اعلنتهُ قضت بالأقسام المحرّجة بكتمهِ عن كل غريب بل عن اقرب الاصدقاء والاهل . لكلتيهما رؤساء مجهولون لا يعرفهم الّا بعض الافراد . وكذلك اعضاؤها يتعارفون برموز سرّية واشارات خفيّة يطرقها من سواهم . وترى كلتا الشيعتين اذا خافت على نفسها طائفةً جاهرت بالمراء وتظاهرت بالدين لتدع الجمهور . واني اقدر ان اؤكّد اتمّ تأكيد انّ كل ما حدث في اوربّة من الفتن والثورات والانقلابات السياسية منذ اكثر من نصف قرن (يريد منذ ظهور الثورة

الفرنسوية) انما كان من اعمال تلك الشيع السرّية التي خلفت شيعة الاليجيين »

هذا ما قالهُ احد البروتستانت الذي يُعدّ من اوثق كتبة مصرنا لتجرُّده في قوله عن كل غرض ولسعة معارفهِ

رابعاً ومن اجداد الماسونيين الذين لهم حقوق الاجرّة عليهم شيعة الهيكليين. كان هؤلاء اوّل امرهم طائفة رهبانيّة مركزها في القدس الشريف أُنشئت للدفاع عن الاراضي المقدّسة في ايّام الصليبيين الّا انها بعد حقبة من الدهر زاغ رهبانها عن قوانينهم واهملوا نذورهم للصالحة وتسرَّب اليهم حبّ الملاذ فاختلطوا بشيع شرقيّة ساد فيها الفساد وانتسوا بآداب اصحابها وحذوا حذوهم في المنكرات فشذبتهم الكنيسة وامرت بالغائهم وبقي منهم بقايا نشزوا بعد ذلك سئهم بالشيع الماسونيّة. قال الماسونيّ ڤيلوم (Willaume) في دليل الماسونيين (ص ١٠ و١١) بعد تعريضهِ للهيكليين وما شاع بينهم من الاسرار الخفية: « انّ الهيكليين بعد الغائهم ككجمعية مدنية لم يتلاشوا بل اورثوا نظامهم وتعاليمهم لخلفائهم الفرمسون من بعدهم. فهذا ما يلوح لنا من درس تاريخ الماسونية وسيرها ». ثم يثبت قولهُ بعدّة اشيا. كان للهيكليّون ألفوها في خبايا معاهدهم وهي اليوم جارية في المحافل الماسونية المختصة ببعض الافراد دون جمهورهم

خامساً واخيراً في الماسونية ايضاً وفي طقوسها وشعائرها واحكامها عدّة اشيا. تشير الى تاريخ اليهود وسننهم وعاداتهم ولاسيما الى احدى شيعهم السرّية بعد المسيح تُعرف بشيعة القبّاليين (Kabbale) انتشرت في القرون الوسطى ومزجت بين التعاليم الفلسفيّة والاقوال السفسطيّة والاضاليل السحريّة وكان بينها وبين شيع الاليجيين روابط متينة فامتزجت ببعضها امتزاج الماء بالراح ثم اشتدّ ضررها حتى وجّهت قوّتها للسياسة ومعاكسة السلطتين الدينيّة والمدنيّة. وآثار تلك الشيعة اليهوديّة ظاهرة في اعمال الماسونية ورُتبها وأزيائها وطقوسها وشعائرها السرّية. وقد أُلّف في ذلك كتاباً واسعاً السيّد مورين (Mgr Meurin) بحث فيه عن العلاقات بين الماسونية وشيع اليهود في القرون الوسطى واثبت رأيهُ بأدلّة جليّة لا تُنكر

فكل هذه النِحَل التي سبق ذكرها قد تعاقبت وتناصرت وائتلفت فتركّبت من مجموعها الشيعة الماسونية فكانت تلك الفرق كقواعد جرت مياهها الى نهر كبير او

بالاحرى كجداول الى سيل جُحاف هدَّ سدوده وطغى حدوده وعاث ما شاء في السهول والاودية

تلك هي العناصر المختلفة التي صيغت منها بعد توالي الاجيال حلقة الماسونية الحاليَّة. وقد ساعد على انتظامها وائتلافها ما اعتادهُ اهل الحرف والصنائع منذ القرن الثاني عشر فانهم كانوا يتَّحدون فيؤلفون شركات مستقلة ليذبُّوا بها عن حقوقهم ويدافعوا عن امتيازاتهم. وكان بين تلك الشركات فئات خاصَّة بالبنَّائين. وكانت اعمالهم مُهمَّة يشتغلون بتشييد ابنية عظيمة كالقصور والكنائس والجسور فهذه الشركات كانت تحتمي في كنف الدين وتسير على مقتضى سُنَنهِ وترفع دعاويها الى ارباب لتُفضَّ المشاكل على طريقة سلميَّة. وشاعت تلك الشركات في دول اوربَّة كانكلترَّة وفرنسة والمانية وايطالية وكان الاحبار الرومانيُّون يباركونها ويمنحون اصحابها النعم الروحيَّة ويرصون بها لرباب الامر حتى ثبت وبلغت مبانًا كبيرًا. الَّا انَّ الرجل العدوَّ الذي اعتاد ان يبثَّ الزوان في حقل ربِّ البيت دخل ايضًا في تلك الشركات ودسَّ سمَّهُ في دسمها فانَّ البعض من تلك الشركات جعلت باغراء قوم اشرار تُخلد الى الفتن وتنصب المكايد للدول وتعارض لاهل الدين

واوَّل عهد ورد فيه ذكر الماسونيَّة ووصف شيء من اعمالها انَّما هو عهد كولونيا من اعمال المانيا كُتب سنة ١٥٣٥ وأثبت العلماء صحَّتهُ (١. فان هذا العهد الذي ورد فيه لاوَّل مرَّة اسم الفرمسون مع ذكر رُتبه الثلث اي الطالب والشريك والاستاذ. ويفتتح كاتب هذا العهد كلامهُ بذكر الماسونيَّة والمدن التي أُنشئت فيها محافل الجمعيَّة ثم يلخِّص ما ينسبهُ الناس الى الجمعيَّة الماسونيَّة من الدسائس وكيف شاع بين الجمهور انَّ غاية الماسون التمرُّد على السلطة الدينية والمدنية وانَّ القوم ينسبون اليهم قلَّة الدين ويلومونهم على كتم اسرارهم فتلافيًا لما ينتج عن تلك الشكايات قد اتَّفق رؤساء الجمعية الماسونية على وضع بعض البنود التي يجب على الاخوة ان يحرزوها ويأتمروا بها. ويلي هذه المقدِّمة ثلاثة عشر بندًا تحتوي خلاصة القوانين الماسونية ومختصر تاريخها. فيؤخذ من هذا التقرير ان الماسونية كانت في ذلك العهد كما هي في عهدنا لها اسرارها

(١) اطلب كتاب ديشان (١ : ٢١٨)

واقسامها ودرجاتها ورؤساؤها الذين تخضع لهم وانها لا تكترث لدين ولا تعتبر الديانة المسيحية الّا كشيعة من الشيع وغير ذلك مما خُص به الماسون في زماننا. وفي آخر هذا القرار اسماء رؤساء الجمعية وهم تسعة عشر قد وقّعوا عليه بامضائهم وكلهم من ألدّ اعداء الكنيسة الكاثوليكية بينهم هرمان دي ڤياك (Herman de Wiec) الذي كان اسقفًا على كولونية وتشيّع بالشيعة البروتستانية فاوزرته الكنيسة من شركتها. ومنهم فيليپ ميلنكتون (Mélanchton) احد أنصار لوتاروس ومنهم رئيس البروتستانت الفرنسويين كوليني (Coligny)

وفي تلك الاثناء كانت الشيع البروتستانية اشهرت حربًا عوانًا على الكنيسة تحت قيادة لوتاروس وكالوين وهنري الثامن ملك انكلترة فتحاماوا كلهم على الدين الكاثوليكي من كل صوب واملهم ان يستأصلوا آثاره فوجدوا في الجمعيات الماسونية اقوى مساعد لتحقيق امانيهم. وكانت البروتستانيّة جاهرت بحرية البحث واستقلال الضمير ففتح هذا المبدأ بابًا واسعًا للجدال والخصام واخذت الشيع البروتستانيّة تتقسّم وتتفرّع فينافي بعضها بعضًا حتى بلغ بهم الامر الى جحود الوحي وتوريد العقل ونكران كل شريعة وقد اشتهر منهم بهذه الاضاليل لوليوس سوسين (L. Socin) وابن اخته فوستوس سوسين صرّحا بعداوة كل دين ولاسيما الدين الكاثوليكي وسعيا في نصر غايتهما وتقويض اركان كل المعتقدات. وعاش فوستوس زمنًا طويلًا ونشر آراءه الكفرية في كل انحاء اوربة واتخذ الجمعيات الماسونيّة كآلة لبلوغ مرامه فزادت مذ ذاك الحين تلك الجمعيات سوءًا وتحاملًا وانتشرت انتشارًا عظيمًا في البلاد البروتستانيّة وعضدها كرومويل في انكلترة وهو قاتل الملك كارلس الاوّل

وفي القرن الثامن عشر وجدت الماسونية في الفلاسفة الكذبة كڤولتير وروسو والمبار وفردريك ملك بروسيا وغيرهم انصارًا تكاتفوا في دكّ اركان الدين ومناصبة ملوك عصرهم حتى بلغوا ما كانوا يتشوّقون اليه من خراب العروش والمذابح مما

(له بقية)